

كسوة الكعبة المشرفة حكاية إبداع فني عبر الأجيال

الدار البيضاء: نجيب خليفة (بتصرف)

لم يزد تعدد الروايات حول صناعة كسوة الكعبة المشرفة، إلا اهتماما كبيرا لدى عموم المسلمين، بتدرج المراحل التي مرت منها، وصناعتها والإبداع فيها، حيث وصل تجديدها مرتين كل سنة، كما يقام احتفال مهيب في موسم تبديلها. وسنقف في هذا المقال بمحطات تطور صناعة أقدس رداء لدى المسلمين عبر التاريخ.

الهدف واحد وإن تعددت الروايات

للتكافل، وجعله مفروضا على الأغنياء من أهل قبائل قريش لسد مصاريف كسوة الكعبة، أما الثري أبو ربيعة بن المغيرة المخزومي، فقد اقترح أن يتكلف بمصاريف الكسوة لوحدته سنة، وعامة قريش السنة التي تليها بالتناوب. وبقيت الأمور على الحال إلى أن وافته المنية. أما الروايات التي تتحدث عن كسوة الكعبة بعد الإسلام، فلا اختلاف فيها، بحيث كساها الرسول في حجة الوداع أي قبل موته (ص) بشهور قليلة. وبعدها بدأ المسلسل التاريخي والمؤكد لكساء الكعبة المشرفة.

تعددت الروايات حول أول من جعل للكعبة كسوة رسمية، فمن قائل: إن نبي الله إسماعيل عليه السلام هو المنشئ لهذا العمل، إلى مرشح لجد الرسول الأول عدنان، إلى مؤكد أن من كساها فعلا هو تبع أبي كرب أسعد، ملك حمير في سنة 220 قبل الهجرة. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن بداية كساء الكعبة كان قبل ظهور الإسلام. ومن الأدلة الدامغة على ذلك أن قصي بن كلاب القرشي، فتح بابا

فقد زاد اهتمامهم بكسوة الكعبة لحد أنهم كانوا يكسونها في بعض الأحيان ثلاث مرات في السنة: في يوم التروية تكسى بالديباج الأحمر، وفي أول شهر رجب تكسى بالقباطي، أما في عيد الفطر فتكسى بالديباج الأبيض. الدولة الفاطمية التي حكمت مصر كانت ترسل كسوة الكعبة ببيضاء اللون سنويا من القاهرة إلى مكة. ثم تلتها دولة المماليك. ولم تستقر صناعة الكسوة في الفيوم المصرية بل تحولت من مدينة إلى أخرى حسب انتقالات العاصمة المصرية بين مدن مصر، فمن مدينة القسطنطينية إلى مدينة الإسكندرية ثم مدينة

إرسالية عمر بن الخطاب إلى مصر البدلية كانت من مدينة الفيوم المصرية، حين كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله في مصر آنذاك، أمرا إياه أن تصنع كسوة الكعبة في مصر، بالقماش المصري المعروف باسم (القباطي)، الذي كان ينتج في مدينة الفيوم. وفي عهد معاوية بن أبي سفيان كسيت الكعبة كسوتين في العام، الأولى في يوم عاشوراء والثانية في آخر شهر رمضان استعدادا لعيد الفطر، كما أن معاوية هو أيضا أول من طيب الكعبة في موسم الحج وفي شهر رجب. أما خلفاء الدولة العباسية



الحرف اليدوية في مصر

بالنسبة لليد العاملة التي تساهم في حياكة وتطريز الكسوة، هي الوضوء جميعا قبل البدء في العمل، والترديد الجماعي وبصوت مرتفع لمسورة الفاتحة، مما يجعل المكان الذي تطلق فيه البخور خشوعا. وبجانب العمال لواني مملوءة بماء الورد لغسل أيديهم حين تعرق من كثرة الإرهاق.

وفي سنة 1962 سينتقل مصنع كسوة الكعبة المشرفة من مصر إلى المملكة العربية السعودية بصفة رسمية، هذه الأخيرة أقيمت بها دار خاصة لصناعة الكسوة بمنطقة (أم الجود) بمكة المكرمة، تشتمل علي أحدث الوسائل والآليات الحديثة، زيادة على توفرها على أنامل ماهرة في الصناعة اليدوية التي تستخدم في النسيج والصبغة، ليبدأ المسار الجديد في صناعة هذا الرداء المقدس عند عامة المسلمين.

القطائع حتى انتهى الأمر إلى مدينة القاهرة العاصمة الحديثة لمصر، حيث تأسست بها دار كسوة الكعبة بحي (الخرنفش) الحي العتيق سنة (1876م/ 1223 هـ)، ولذاكرة فإن هذه الدار لا زالت قائمة حتى الآن وتحتفظ بأخر كسوة صنعت للكعبة المشرفة داخلها، وتعد من المآثر التي يزورها السياح.

إحصائيات وأرقام رسمية

أما فيما يخص التجهيزات التي كانت تحتوي عليها دار صناعة الكسوة، فقدتم حصرها في: سبعين آلية وثلاثمائة (نول) بالإضافة إلى عشرات الآلات و (الأكسوسورات) لصناعة الحرير والقطن والأقمشة والمخيش (نوع من الخيوط السلكية الرقيقة التي يتم نسجها من الفضة الخالصة والذهب). ومن التقاليد العرفية المحببة



الأجزاء المكونة لكسوة الكعبة

القماش (الكمخي)، طول الثوب 14,8 متراً وعرضه متراً واحداً. أما حزام الكسوة فعرضه 95سم وطوله 47 متراً مطرز بآيات قرآنية مختلفة بالخط الثلث المركب، و الطرز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب.

أما ستارة باب الكعبة فهي مزركشة بالمخيش الأبيض والمذهب علي حرير أخضر وأسود وأحمر، ومبطنة بالحرير الأبيض، وتتكون ستارة باب التوبة داخل البيت الحرام من الحرير الأطلس الأسود والأخضر والأحمر المزركشة بالمخيش ومبطنة بالحرير الأصفر، أما كيس مفتاح الكعبة المشرفة فيصنع من الأطلس الأخضر والحرير المزركش بالمخيش الفضي، وله ثلاثة أحبال مجدولة تعرف بالمجاديل، وواحد وأربعون حبالاً من القطن تعرف بالعصافير. ■

المعلومات التي جاءت في آخر وثيقة مصرية حررت وسلمت للحجاز عام 1308 هجريا الموافق 1961، والتي تدرج بالوصف الدقيق الأجزاء المكونة لكسوة الكعبة المشرفة كما يلي:
 إن كسوة الكعبة المشرفة تتكون من ثمانية أحزمة وأربعة كروشيات، وهي عبارة عن زخارف كتابية في شكل دائري له تكوين خاص، وجميعها مزركشة (بالمخيش) الفضي الأبيض و(المخيش) الفضي الملبس بالذهب البندقي علي حرير أطلس أسود وأخضر، مركبة جميعها علي ثمانية أحمال من الحرير الأسود (الكمخي) وهذه الأحمال مبطنة (بالبفتة) البيضاء المتماسكة عروضها بأشرطة من النوار القطن الأبيض، وتتكون الأحمال الثمانية من اثنين وخمسين ثوباً من